المسلمون أمة واحدة

قال سبحانه وتعالي: ﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾ (الأنبياء: ٩٢).

وقال سبحانه وتعالي: ﴿ وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون﴾ (المؤمنون: ٥٢).

وقال سبحانه وتعالي: ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ﴾ (آل عمران: ١٠٣).

وقال تعالي: ﴿ وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم ﴾ (الأنفال: ٦٣).

وقال تعالي في شأن أعدى أعداء الإسلام: ﴿ تحسبهم جميعا وقلوبهم شتي ﴾ (الحشر: ١٤).

والنصوص القرآنيه في هذا الموضوع كثيرة: أرجئ الحديث عنها لتكتب بين يدي كل نقطة علي حدة.

هذا وبتدبر هذه النصوص المتعددة السابقة والتي ستكتب بين يدي نقاط البحث يتضح أن البحث يشتمل علي النقاط التالية.

(١) ـ الشيطان وجنده يكيدون للأمة الإسلامية لتفريق وحدتها حتي لا تكون خير أمة أخرجت للناس.

(٢) ـ الأخوة الإسلامية هي حصن المسلمين ضد أعدائهم.

(٣) ـ القرآن الكريم رسم لنا منهج بناء الأخوة الإسلامية.

(٤) ـ القرآن الكريم يعالج ما يحدث من شقاق بين المسلمين.

(٥) ـ القرآن الكريم يسد كل ثغرة يمكن أن تتسلل منها العداوة والشقاق بين المسلمين.

(٦) ـ القرآن الكريم يأمر بالإصلاح بين الطوائف المتخاصمة من المسلمين. ولو بالقتال.

(٧) ـ خاتمة للبحث.

،إليك أخي المسلم الحديث عن هذه النقاط. من كتاب الله. وسنة حبيبه ومصطفاه شارحة القرآن ومبينته.

(١) ـ الشيطان وجنده يكيدون للأمة الإسلامية لتفريق وحدتها. حتى لا تظهر للوجود خير أمة أخرجت للناس.

تشكو أمتنا المسلمة في يومنا الحاضر تكالب أعدائها عليها. واجتماعهم مهما اختلفت مشاربهم وتباينت مقاصدهم على النيل منها.

يختلفون في كل شيء إلا في الكيد لها. ذلك أن قيادة أعداء هذه الأمة المسلمة بيد الشيطان. وهو لا يفتأ يكيد لها ويتربص بها. قال تعالى: ﴿ **إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا** ﴾ (فاطر: ٦٠). وقال تعالى: ﴿ **أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا** ﴾ (الكهف: ٥٠).

ولا يغيب عنا موقفه يوم اجتماع المشركين في دار الندوة ليكيدوا للإسلام في شخص النبي ﷺ. وحضوره هذا الاجتماع في صورة بشرية.

ولا يزال يفند الرأي تلو الرأى ذاكرا عيوب كل رأي. حتى سمع رأي أبي جهل عندما قال: إن لي رأيا فيه ما أراكم وقعتم عليه. هو أن نختار من كل قبيلة شابا جلدا وسطا متينا ثم يضربونه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل فلا يقدر بنو عبد مناف على حرب جميعهم فيرضون بالدية فندفعها لهم وهنا صفق إبليس عليه لعنة الله وقال: هذا هو الرأي.

راجع ابن هشام جـ٢ ص٩٣ وما بعدها بتصرف.

وأراه في أيامنا هذه يحضر اجتماعات القيادات العليا في الشرق والغرب يوسوس لقادة هذه الأمم بكل ما يضر المسلمين ويذيقهم الذل والهوان وهل هناك إذلال للأمة الإسلامية أبلغ من موقف قيادات الأمم في الشرق والغرب من موضوع هجرة اليهود السوفييت لإسرائيل.

وموضوع امتلاك بعض الدول الإسلامية لشيء من الأسلحة الفتاكة فتضيق هذه الأمم بامتلاك بعض الدول الإسلامية لتلك الأسلحة ولا تضيق بامتلاك اسرائيل

لأضعاف هذه الأسلحة الفتاكة.

وكذلك لا يغيب عنا موقف إبليس يوم بيعة العقبة الثانية. عندما صرخ عقب البيعة قائلا لعنه الله: هل لكم في مذمم والصُباء معه قد اجتمعوا علي حربكم » ويقصد بقوله: مذمم: سيدنا محمد ﷺ. ويقصد بالصُباء: من أسلم من الأنصار.

ويقول ﷺ عقب ذلك: هذا أزب العقبة هذا ابن أزيب استمع عدو الله أما والله لأفرغن لك» ابن هشام حـ٣ ص٥٦.

وله موقف ثالث تبدى فيه في صورة بشرية هي صورة سراقة بن مالك ليشد أزر المشركين يوم بدر. وكان سراقة من أشراف بني كنانة. فصرخ إبليس وهو في صورة سراقة قائلا للمشركين: إني جار لكم. وكان المشركون قد تخوفوا على مكة من بني بكر من كنانة.

غير أن الخبيث لما شاهد الملائكة تنزلت لنصر المؤمنين نكص على عقبيه وقال :

﴿ إني بري منكم إني أرى مالا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب ﴾ (الأنفال:٤٨).

وله موقف رابع تبجح فيه كذلك يوم أحد عندما صرخ. وقد مالت كفة المسلمين بعد إذ ترك الرماة أماكنهم مخالفين توصية الرسول ﷺ. وهنا عملت فيهم سيوف المشركين عملها وانفرط عقد المسلمين يصرخ آنذاك اللعين: ألاَ إن محمدا قد قتل. يريد بذلك أن يفت في عضد المسلمين. وقد حصل بعض ما أراد .

من كل هذا نرى مدى كيد اللعين لهذه الأمة من وقت مبكر. فضلا عن إثبات رب العزة عدوانه لنا بقوله:« إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا».

وقلوب البشر جميعا لا تزال بينِ لمة الملك ولمة الشيطان. إن لم تكن مع لمة الملك فهي مع لمة الشيطان.

قال ﷺ:« للقلب لَمَّتَان لمةَ من المَلَك ولمة من الشيطان فلمة الملك إيعاد بالخير وتصديق بالحق ولمة الشيطان إيعاد بالشر وتكذيب بالحق».

(٢) ـ الأخوة الإسلاميه هي حصن المسلمين ضد أعدائهم

قال تعالى: ﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾.

وقال تعالى: ﴿ وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون﴾

وقال تعالى: ﴿ وألف بين قلوبهم لو انفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم ﴾.

أخي أيها المسلم أما وقد جمع الشيطان حزبه على اختلاف بين طوائف الشيطان شديد وصراع بينهم مديد. ودم مهراق. أقول: أما وقد جمعهم علي حربنا. والكيد لنا فإن رب العالمين قد أخذ بيدنا إلى الطريق السوي الذى نستطيع به أن نرد عنا كيد الأعداء بقيادة الشيطان.

ذلك الطريق هو الأخوة الإسلامية بقيادة المصطفى الحبيب ﷺ مستشعرين العبودية الصادقة لله رب العالمين. قال تعالى وهو أصدق القائلين: « إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » وقال سبحانه: ﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون ﴾.

ويقول ﷺ: « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» رواه الشيخان كما قال ﷺ: «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى» رواه الإمام أحمد. والإمام مسلم.

ويطبق ﷺما دعا إليه عقب هجرته إلى المدينة المنورة فيؤاخى بين المهاجرين والأنصار فيضم الواحد من المهاجرين إلى آخر من الأنصار ويقول: «تآخيا فى الله أخوين أخوين».

يا لها من خطة ربانية رائعة في سبيل بناء صرح الإسلام أخوة في الله واجتماع علي الله لا أخوة في النسب. فالأنساب وحدها لا تجمع القلوب. بل قد يكون النسب وحده سبيل فرقة. وداعية خلاف. ما لم يكن معه إخاء في الله.

أو أخوة مغنم تجمع الظاهر من الأجساد. والقلوب شتي سرعان ما تختلف حول المغنم ولذا يمن الحق تبارك وتعالى على حبيبه بنعمة الأخوة الإسلامية إشادة بها وبيانا لفضلها. وتوكيدا للحرص عليها. يقول تعالى:

﴿ وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم﴾.

نعم إن التآلف بين القلوب المتنافرة. التي طال نفارها لأمر معجز ليس في إمكان البشر. وإنما هو من جزيل نعم الخالق تبارك وتعالى.

(٣) ـ القرآن يرسم لنا منهج الأخوة الإسلاميه

يقول تعالى: ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ﴾ (آل عمران:١٠٣).

فيحثنا الإسلام على الوحدة ويحذرنا من الفرقة. فالقوة في الوحدة. والضعف في الفرقة. والرسول ﷺ يذكرنا بذلك في قوله: « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا».

ومما يؤكد الوحدة الإسلامية ويغذيها الجماعة التي حض عليها الإسلام في الصلوات الخمس وأوجبها في صلاة الجمعه. ومن ثمرات الحج اجتماع المسلمين من أطراف الأرض ليشهدوا منافع لهم.

يجتمعون في الصلاة متجهين إلى قبلة واحدة مهما اختلفت الديار وتباعدت الأقطار وبعد إذ آخى الرسول ﷺ بين المهاجرين والأنصار. فشاد بذلك صرح الأمة الإسلامية نراه يحرص كل الحرص على تثبيت هذا الإخاء بصيانته مما يتهدده. من نوازع الطبع. وغلبة الشهوة وأنانية الفرده ووسوسة الشيطان من الإنس والجن. كما نراه يحرص على ريّ هذا الإخاء في الله بشتي الوسائل. مستعينا ﷺ في الريّ والصيانة معا بهدي الله من قرآن وسنة كما سيتضح لنا ذلك الآن.

فالله تعالى يعلم من خلقه أنهم مهما أوتوا من تقوى. فلا يزال الشيطان يتربص بهم وهو في صراع مرير معهم. وقد يصادف منهم غفلة فيغزو القلوب فيقعوا فى الفرقة والخلاف يشير إلى ذلك قوله سبحانه: ﴿ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ﴾ (الاعراف:٢٠١).

فالمولى عز وجل يثبت للمتقين الاستبصار بعد التذكر. وهذا وذاك إنما كان بعد أن مسهم طائف من الشيطان.

من أمثلة ذلك في الصفوة العليا من هذه الأمة. أن يعير صحابي جليل صحابيا جليلا

بسواد أمه. في ثورة غضب. قائلا. يا ابن السوداء. ويصل الأمر للمصطفي ﷺ فيغضب. ويقول للصحابي المعتدي: أعيّرته بأمه. إنك امرؤ فيك جاهلية» ويبكي الصحابي المعتدي. ويعتذر لأخيه. ويضع خده علي الإرض ويقول له: طَأ عُنقَي، ترضية له.

هنا في هذه القصة نلمس طائف الشيطان في خير القرون. ونلمس كذلك أثر التقوي وتذكر الصحابي الجليل واستبصاره. وسرعة اعتذاره لأخية بصورة تمسح تماما أثر اعتدائه عليه.

(٤) ـ القرآن الكريم يعالج ما يحدث من شقاق بين المسلمين

يعالج القرآن الكريم ما يحدث من شقاق بين المسلمين بصور شتي وتشريعات عديدة. يقول تعالي: ﴿ **ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله** ﴾ (فصلت: ٣٤ـ٣٦).

فنري في هذه الآيات دعوة إلي العفو والمسامحه في مواجهة ثورة النفس من أخيك في الله حتي لا يستشري الشر بين المسلمين. وتلك بغية الشيطان اللعين.

والحكمة كل الحكمة في حالة اعتزاز أخيك عليك في غفلة منه عن حقوق الإخاء في الله أن تواجه اعتزازه بهوانك. وفي الحكمة: إذا عز أخوك فهن.

ونعم ما كان عليه سيدنا معاوية الصحابي الجليل من ذلك. إذ يقول: لو كانت بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت لأنهم إذا شدوا أرخيت وإذا أرخوا شددت» وهذا الذي أدعوك إليه من مقابلة عزة أخيك المؤمن بهوانك إنما هو هدْي رب العالمين. فالله تعالي يقول: ﴿ **أذلة علي المؤمنين أعزة علي الكافرين** ﴾ (المائدة: ٥٤).

ألا وإن مقابلة ثورة أخيك عليك واعتزازه باللين منك والرفق والحلم يطفئ جمرة نفسه. أحوج ما يكون إلي ذلك منك .

فالغاضب المعتدي مريض قد وقع فريسة للشيطان فهو في حاجة إلي عون أخيه المعتدَى عليه. ألا تري إلي رسول الله ﷺ يصور ذلك أبلغ تصوير فيقول:« الغضب جمرة يلقيها الشيطان في جوف أحدكم ألا تروا إلى احمرار عينيه وانتفاخ أوداجه.

ولكن ربى يعلم من ضعف خلقه من البشر أن الجماهير العريضه من المسلمين لا تحتمل هذا الأدب الإسلامي العالي. مع أنها بعيدة عما يغضبها. وفي حالة اعتدالها تؤمن بأنه أحكم وثاق يشد أفراد هذه الأمة. كما أشار إلى ذلك المصطفى ﷺ: إذا يقول: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا».

أقول: ولذلك لم يكلف الله الجماهير العريضة من لمسلمين بهذا الأدب العالي ابتداء وإنما استدرجهم المولى عز وجل إلى هذا الأدب الإسلامى العالى ألطف ما يكون الاستدراج. يقول سبحانه: ﴿ **وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به. ولئن صبرتم لهو خير الصابرين. واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولاتك في ضيق مما يمكرون. إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون** ﴾ (النحل: ١٢٦: ١٢٨).

فهو يخاطب الثائر المعتدى عليه بإثبات حقه في رد الاعتداء أولا. ليمتص بذلك ثورة غضبه. ولكنه سبحانه وتعالى يشير إشارات خفية لأرجحية العفو.

فهو يعطي جواز رد الاعتداء. ولكن بشرط المثلية. والمثلية عند التحقيق متعذرة بل مستحيلة. إذ كيف تضبط المثلية في رد صفعة مثلا؟ فهناك التفاوت في القوى. والتفاوت في الانفعال الذي يؤثر في اليد الضاربة. والتفاوت في التحمل بالنسبة للمضروب. وإن تعادلت القوي الضاربة. فصفعة تقتل. وصفعة تؤذي أشد الإيذاء. وثالثة ليس لها من الضرب إلا صورته.

ومن تلك الإشارات الخفية أيضا لأرجحية العفو علي رد الأعتداء تسمية رد الاعتداء اعتداء في قوله سبحانه: ﴿ **فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم** ﴾ وفي تلك التسمية تنفير من رد الاعتداء عند أولي الألباب ولا تلتفت لما يقال من أن ذلك مشاكلة. أو سمي بذلك لأنه يشبه الاعتداء في الصورة.

وعليه فعند التحقيق والتفطن لإشارات القرآن فى هذا الموضوع يمتنع الحريص على دينه من استيفاء حقه.

ولكنه مع ذلك فى حاجة إلى ما يشد أزره أمام كرامته المعتدى عليها فنجد فى ختام الآية ما يأخذ بيده إلى ساحة العفو أسمح ما يكون العفو. إنه عدة كريمة من رب كريم مؤكدة بأوثق المؤكدات التي تعارفها البشر. عدة بخير غير محدود على صبر محدود يقول

سبحانه: ﴿ ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾.

وبحسب المعتدى عليه أن يدخل بعفوه عن المعتدي وصبره على أذاه أن يدخل بذلك في جملة الصابرين. وفيهم يقول رب العزة: ﴿ أنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾.

إن قوما قد فقهوا عن الله يتلذذون بالأذى ينزل بهم إذ ينتهي بهم إلى مثل هذا المقام الكريم من الرب الكريم: ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ مع أن كل عمل آخر عملوه فهو ذو أجر محسوب.

هذا ولا ننس ما ختمت به الآيات من إشارة إلى مقام كريم هو مقام الإحسان. وبحسب صاحبه معية الله له. وهل مع معية الله إلا الخير كل الخير. يقول سبحانه: ﴿إن الله مع الذين اتقو والذين هم محسنون ﴾.

ويشهد لخيرية معية الله لعبده قول الحبيب المصطفي ﷺ للصديق يوم غار ثور في الهجرة وقد اشتد خوف الصديق على الرسالة والرسول: ﴿ يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما ﴾ ويسجل القرآن الكريم هذا الموقف مؤكدا ما أشار إليه المصطفي ﷺ يقول تعالي: ﴿ إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا. فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفرو السفلى وكلمة الله هي العليا ﴾ (التوبة: ٤٠). هذا ومقام الإحسان فوق مقام الصبر.

ومن ثماره هنا أن تحسن إلى من إساء إليك. وتلك المرتبة صرحت بها آيات سورة فصلت قوله تعالى: ﴿ ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن ﴾.

ونعم ما أدبنا به القرآن.

فهل رأيت النار تطفأ بالنار؟. إن رد السيئة بمثلها. هو عند التحقيق رد للنار بالنار وزيادة وقود للشر.

لا كما يزعم القائل:

والشر إن تلقه بالخير ضقت به ذرعا وإن تلقه بالشر ينحسم

بل الأمر كما قال الخالق وهو أعلم بمن خلق﴿ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن﴾ ونعم ما يثمره هذا الصنيع ـ أن تحسن إلى من أساء إليك ـ إن الإحسان إلى من أساء إليك يثمر ما صرح به القرآن في قوله تعالى: ﴿ فإذا الذي بينك وبينه

عداوة كأنه ولي حميم ﴾.

وهذا غاية ما يرجوه الإسلام صيانة للوحدة الإسلامية.

(٥) ـ القرآن الكريم يسد كل ثغرة يمكن أن تتسلل منها العداوة والشقاق بين المسلمين

فينهى عن كل ما يجرح شعور المسلم ويؤذي إحساسه. فضلا عما يناله منه من أذى حسي فنقرأ في حفظ شعور المسلم. قول الله تعالى: **﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن. ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخية ميتا فكرهتموه ﴾** (الحجرات: ١١، ١٢).

أيها الأحبة قد جمعت هاتان الآيتان ألوانا من الأدب الإسلامي العالي في حفظ شعور المسلم صيانة للأخوة الإسلامية.

ففيهما النهي عن السخرية من أخيك المسلم ظاهرة كانت السخرية أم خفية. وتخص بالذات لونا من السخرية. يشيع بين الناس وهو آلم للنفس ولا تستطيع له دفعا ذلك أن يعلق بالإنسان لقب لا حيلة له في دفعه. ويعرف به بين الناس. ويود الفرار منه ولكنه يستحي أن يصرح بذلك. إنه لقبه. غير أنه يتغاضى عنه. ويود التخلص منه وألا يعرف به وأن يقتصر في التعريف به على ما دونه من أسماء.

ولكن ناسا قد جف معين الذوق في نفوسهم يصرون على إحياء هذا اللقب البغيض إلى صاحبه. يودون بذلك إيذاء المشاعر محتمين بأنهم لم يأتوا بشئ جديد من عند أنفسهم وصدقوا في ذلك ولكنهم وقد صدقوا فقد أساءوا الأدب وقطعوا روابط الأخوة الإسلامية باستجابتهم لنوازع الهوى الدفين في السخرية بمن تربطه بهم أخوة الإسلام وعصوا بذلك رب العالمين إذ يقول: **﴿ ولا تنابزوا بالألقاب ﴾**.

هذا وفي الآيتين كذلك من أسباب صيانة الإخاء الإسلامي النهي عن الظن الآثم وهل يقع معظم الشر بين الأفراد والجماعات إلا نتيجة الظن الخاطئ يضخمه الشيطان وتنفخ

فيه مردة الجن والإنس ويؤكد رسول الله ﷺ النهي عن اتباع الظن السئ فيقول« أياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث » رواه الشيخان.

وإذا كان الإسلام قد نهى عن الظن السئ بالمسلم. صيانة للإخاء الإسلامي أن تدمره آثار الظن السئ. فنجد الآيات كذلك تؤكد النهي عن أخبث ثمار الظن ألا وهو التجسس المقيت على أخيك المسلم. تتهجم على خلوته وتهتك ستره والله قد نهاك عن ذلك. فتعصى ربك. وتجرح أخاك. وتكشف ما أمر الله بستره تفعل ذلك كله غالبا لتتحقق من ظن آثم وقع في نفسك.

وهبك أخي المسلم تحققت من صدق ظنك وصدق الخُبر الخبر. ماذا أنت فاعل مع أخيك المسلم؟ إن الإسلام لا يعترف ببينة عن طريق التجسس ولا تحصل آنذاك إلا على القطيعة لأخيك المسلم. وإضرام نار عداوته ولو أنك حفظت على أخيك ستره. ونفيت الظن السئ بأخيك عن نفسك وعاملته بما أوصى به الإسلام. بالإحسان إليه. لكان في ذلك ما يستل سخيمته: إن كانت هنالك سخيمة. و يؤكد محبته إن لم تكن هنالك أسباب للبغضاء هذا ثم تنهي الآيات. حفاظا على الإخاء الإسلامي عن مرض يشع بين الناس ولا يدركون خطورته على الإخاء في الله.

ذلك المرض هو تفكههم في المجالس بالنهش في أعراض الآخرين ممن غاب عن المجلس. مستسهلين ذلك. مدعين أنهم لم يصيبوه بأذي محسوس. فهم لم يضربوا له جسدا. ولم ينهبوا له مالا. وقد ضلوا في ذلك ضلالا كبيرا.

إنهم قد أكلوه ميتا. كما صرح بذلك الخالق جل وعلا. وقد آذوه بذلك أشد الإيذاء وتدفع الناس لذلك رغبة كامنة في النفوس. في الاستعلاء على الغير. مع عجز عن العلو المنشود. فلا أقل من العلو الموهوم. بإنزال الغير عن مكانته ولو لفترة وجيزة. هي فترة اجتماعهم على اغتيابه.

ولذلك لا تجد الناس يغتابون إلا من يحسون فيه لونا من التفوق عليهم. يريدون بذلك أن يعيشوا فترة في أحلام اليقظة متفوقين على من أحسوا فيه تفوقا عليهم. حسدا من عند أنفسهم يصطلون بناره. قبل أن تنال ممن قصدوه بها. عقوبة عجلها الله للحاسد. ولذا يقول بعض الحكماء مشيرا إلي ما يلقاه الحاسد من نار تضطرم بين جوانحه فتحرقه

أول ما تحرق يقول: « ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من حاسد. وذلك لما يري عليه من آثار نفسية سيئة تؤذيه قبل أن تؤذي غيره.

ولو أن الناس فقهوا شرع ربهم. وأيقنوا أن الأمور كلها بيد الله وأنه وحده القابض الباسط المعز المذل. يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء. وأن ما يعطاه الناس إنما يرجع بالدرجة الأولي إلى سابق مشيئته. قال تعالي مصرحا بذلك:

﴿ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ﴾ (الزخرف: ٣٢).

وذلك لحكمة عالية يدركها أولو الألباب. فيرضون عن الله ويرضي الله عنهم. وتصرح الآية بتلك الحكمة فتقول: ﴿ ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ﴾ ثم تمسح الآية آثار هذا التفاوت التي قد تعلق بالنفس وتترك شيئا من عدم الاطمئنان فيبين المولي عز وجل هوان الدنيا علي الله بقوله: ﴿ ورحمة ربك خير مما يجمعون ﴾ ويهز المولي عز وجل المشاعر هزا عميقا. مؤكدا هوان الدنيا علي الله. وخيرية ما عنده سبحانه بقوله: ﴿ وما أوتيتم من شئ فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقي أفلا تعقلون ﴾ (القصص: ٦٠).

(٦) ـ القرآن الكريم يأمر المسلمين بالإصلاح بين المتخاصمين.

يقول تعالي: ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما علي الأخري فقاتلوا التي تبغي حتي تفئ إلي أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين ﴾ (الحجرات: ٩).

يأمر الإسلام المسلمين بالتدخل للإصلاح إذا حصل نزاع بين الأفراد أو الجماعات ولو اقتضى الإصلاح بين طائفتين من المسلمين حمل السلاح حتي تفئ الطائفة المعتدية وترجع إلي الصواب. وتحافظ علي الأخوة الإسلامية.

....(وختاما)....

ياقوم إن الإسلام يختصر لنا الطريق لنصل إلي أكرم ما نستهدفه من غايات بأيسر الوسائل.

وأيسر الوسائل هنا للحفاظ على الإخاء الإسلامي. وحاجتنا إليه ماسة. فضلا عن كون

الأخوة في الله عبادة لله رب العالمين.

أقول: أيسر الوسائل هنا للمحافظة على الأخوة في الله. لصيانة وحدة الأمة وقوتها وخاصة في وقت يتربص فيه أعداؤها بها للقضاء عليها.

أيسر الوسائل هنا نجدها وسائل سلبيه هي. مجرد تروك. صبر على الأذي. وترك للسخرية من الغير. وبعد عن اللمز والتنابز بالألقاب. وإجتنابٌ للظن السئ وابتعاد عن التجسس والغيبة. فانظر اخي المسلم إلى لطف الله بعباده. لم يكلفنا شططا. ولم يرهقنا عسرا.

وهو إذ كلفنا يسيرا فإنما كلفنا ما يصلحنا. ثم يثيبنا عليه أجزل ما تكون الإثابه إثابة مَنْ أمره إذا أراد شيئا فإنما يقول له كن فيكون.

ثم ألا ترى معي يا أخي المسلم أن الله وقد نهانا عما نهانا عنه مما ذكرته سابقا فقد نهى غيرنا أيضا أن ينالنا بهذه الألوان من الأذى.

وكما أمرنا بالصبر على أذى الغير فقد أمر غيرنا كذلك بالصبر على إيذائنا له. والأمر آنذاك سيكون إذا رَشُدَت هذه الأمة. وهي والحمد لله وفي محنتها اليوم أرشد الأمم إلى مكارم الأخلاق. وسليم الفطر وصحيح الاعتقاد وأهنأ الأمم بالطمأنينة. والناس من حولها يغتالهم القلق.

حتى ظن الناس بنا فسادا في الإدراك. وفقدانا للإحساس. وقد جهلوا أن الأمر أمر طمأنينه هي أنفس آثار ذكر الله. وذكر الله في الذروة من العبادات في الإسلام. قال تعالى: ﴿ **ألا بذكر الله تطمئن القلوب** ﴾.

أقول يا أخي المسلم: إن الأمر آنذاك سيكون إذا رشدت هذه الأمة مسارعة بين المسلمين إلى أبواب الخير.

إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون. كما رأينا في قصة الصحابين اللذين عاب أحدهما صاحبه بسواد أمه في لحظة غضب فقد عادا سراعا إلى اصلاح ما بينهما. كل يسابق صاحبه. فالمعتدى عليه صبر أجمل الصبر. والمعتدى اعتذرْ أجمل ما يكون الاعتذار.

هذا والواقع يؤكد أن المسلم مهما كانت أخلاقه. إذا أساء إليك. وواجهت إساءته

بالإحسان إليه. من غير منٍ ولا زهوٍ. وإنما في أدب إسلامي عال. ترعى بذلك حق الأخوة الإسلامية.

أقول إن المسلم إذا أساء إلى أخيه المسلم. وأحسن إليه أخوه المسلم على هذا النحو لا بد أن يرجع المسئ عن غيه. وقد استشعر ما جناه في حق الأخوة الإسلامية ولا بد كذلك من أن يقابل الإحسان إليه بإحسان إليك. والمعروف إليه منك بمعروف إليك منه. قضى بذلك الخلاق العليم.

يقول المولى عز وجل: ﴿ **ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم** ﴾.

وهَبْه يا أخي لا يقابل إحسانك إليه بعد إساءته إليك بالإحسان إليك واشتد به لؤم الطبع. وغلبة الشهوة. فهو ليس للمعروف أهلا.

ألا ترى معى أنه من الأكرم لك أن تكون أنت للمعروف أهلا حدثنى بعض الأحبة قائلا: لم يعد في الدنيا من يفعل الخير ابتغاء وجه الله فقلت له: كيف وأنت فيها.؟

يا أخي المسلم إذا عز المعروف يسْدَي إليك. فاصنعه أنتَ مع الغير. وكن الباذر لشجرة المعروف.

هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى فالأجمل بنا أن نصنع المعروف ابتغاء وجه الله أولا وآخرا. ونستودعه عند من لا تضيع عنده الودائع.

إن المعروف بلغة العصر هو العملة الصعبة تنفعك حيث كنت. اقرأ في ذلك حديث الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى غار فسقطت عليهم صخرة سدت عليهم باب الغار. وأيقنوا بالهلاك. فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله. بصالح أعمالكم. فدعوه بصالح أعمالهم فنجاهم الله عز وجل.

أخي المسلم هذا قليل من كثير مما شرعه الإسلام لنا حفاظا علي الأخوة الإسلامية إذ هي الرباط الذي يضم المسلم إلى أخيه المسلم ليجعل من المسلمين أمة واحدة هي خير أمة أخرجت للناس. ولتكون حالهم كما وصفهم الحبيب المصطفي ﷺ في قوله: ﴿ **مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا**

اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى».

أخي المسلم إلى هنا وقد أوجزت الحديث عما شرعه الإسلام لصيانة الأخوة الإسلامية.

. والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

الدكتور / الحسيني أبو فرحه

رئيس قسم التفسير جامعة الأزهر

وعميد كلية الدعوة الإسلامية

جامعة الأزهر سابقاً

obeikandl.com

الخاتمـــه

في هذا الكتاب مـجموعـة من فقه الإسلام في الـعبادات والمعامـلات والأخلاق مستوحاة من كـتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وفـقه الأئمة العظام في كـتاب الله وسنه رسول الله ﷺ .

لا يستغنى عنها مسلم ولا مـسلمة ليستنير بهديها في عقيدته وعـباداته ومعاملاته مع الناس ليسعد بها في دنياه وفى قبره .

نعم فى قبـره. فالناس جميعـا أحياء فى قبـورهم كما قال ﷺ القـبر روضه من رياض الجنة أو حفره من حفر النار .

وليسعد بها في الحياة الثانية عند قـيام الناس من القبور في جنه عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين وهذه الثـقافة الإسلامية تضئ الطريق للمـسلم والمسلمة للعمل للدين والدنيا معا امتثالا لأمـر الله عز وجل: «وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا» .

وكما علمنا الله أن نسأله قائلين : «ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » .

فأقبل أخى المسلم وأقـبلى اختى المسلمة علي دراسة هذه الخـلاصات الموجزة في ثقافة المسلم طلبا لـسعادة الدور الثلاثة الدار الدنيا والدار الآخرة والحيـاة البرزخية وهى حياة القبور بين الدنيا والآخره .

نفعنى الله وإياك أيها القارئ وأيتها القارئة بما نقرأ وأعاننا على العمل به انه سميع قريب مجيب .

والله أعلـــــم ؛؛؛؛